العرب والعالم عام 2006 م

أحمد الحبيشي

انتهى الشهر الأول من العام السادس من القرن الحادي والعشرين في الألفية الثالثة الجديدة من تاريخ البشرية وسط معطيات تُشير إلى أنّ ثمة حضوراً خاملاً للعالم العربي والإسلامي على تخوم عصر ما بعد الحداثة.

بوسعنا القول ان ثورة تكنولوجيا الاتصال والمعلومات تمكنت خلال العقدين الأخيرين من القرن العشرين من نقل العمل الاجتماعي من مجال الإنتاج الصناعي إلى مجال الإنتاج الاليكتروني، وتجديد مُدخلات الصناعة إذ غدت تعتمد على المواد الخفيفة بدلاً من المواد الثقيلة ، فيما تغيّرت الوسائط المنظمة للعَلاقة بين الإنتاج والتسويق والاستهلاك بواسطة إحلال إدارة المعلومات محل إدارة العمليات والأشياء ، وما ترتب على ذلك من تحولاتٍ جذرية في معايير الأرباح بوصفها المصدر الرئيسي لتراكم الثروة ، خصوصاً بعد أن أسهمت التجارة الاليكترونية في تحقيق التحول من فائض القيمة الذي اكتشفته الماركسية إلى القيمة المضافة التي استولدتها العولمة!!

أما بُنية العمل والملكية فقد تبدلتا على نحوٍ مدهش ، حيث اتسع الطابع الإجتماعي للملكية على نطاق عالمي من خلال أسواق الأسهم والتجارة الاليكترونية ، بطريقة أكثر فعالية من صيغة " الاشتراكية والثورة البروليتارية " التي كانت الماركسية تراهن عليها، فيما تراجع دور الطبقة العاملة التي تلعب دور القوة المحركة للعمل في ظل المعطيات التقنية للثورة الصناعية وأصبح العمل اليوم يعتمد على قوة محركة جديدة هي العاملون الذين يقرأون المعطيات الرمزية والرقمية والمعلوماتية على شاشات أجهزة الحاسوب ، ثم يقومون بتحويلها إلى صور وأصوات وأوامر ورسائل وقرارات وتعليمات تنتقل بسرعة الضوء من مواقع الإدارة إلى مواقع الإنتاج والتسويق داخل البلد الواحد وعلى مستوى الكوكب الأرضي بأسره.

> العالم العربي شهدَ خلال العقدين الأخيرين فشل كافة مشاريع التغيير المفترضة التي بشرت بها وقادتها تيارات فكرية وطنية أو قومية أو إسلامي وقد تزامن دخول هذه المشاريع مأزق الركود والتراجع مع بدايات انتقال الحضارة المعاصرة من العالمية إلى العولمة، ومن الحداثة إلى ما بعد الحداثة ومن النظام الدولي إلى النظام الكوني .

تبدو صورة الحضور العربي على تخوم الألفية الثالثة قاتمة ومضطربة ، مقابل الحضور الفاعل لأمم وشعوب وثقافات أخرى نجحت في اختراق مشهد النظام العالمي الذي تحوّل إلى نظام كوني بلا حدود ، على نحوٍ يصعب تجاهله والإنعزال عنه أو مقاومته ورفضه ، فيما أصبح معيار الدخول إليه والحضور الفاعل فيه هو مدى القدرة على امتلاك الحيوية الذهنية والفكرية ، والاستفادة من الفتوحات المعرفية والنمنجزات التقنية التي يتشكل على أساسها العالم الجديد في الزمن الجديد.

لا ريب في أنّ العقدين الأخيرين من القرن العشرين شكلا محطة هامة على تخوم الألفية الثالثة التي دشّنت بداية انتقال الحضارة الحديثة من زمن الثورة الصناعية - التي حققت خلال ثلاثمائة عام ما لم تحققه حضارات البشرية خلال آلاف السنين - إلى زمن الفتوحات اللامتناهية لثورة الاتصال والمعلومات التي نقلت الحضارة الصناعية الحديثة من العالمية إلى العولمة.

مما له دلالة عميقة أنّ خميرة الإنتقال من عالمية الحضارة الحديثة إلى عولمة حضارة ما بعد الحداثة ، تشكلت ونضجت خلال العقدين الأخيرين من القرن العشرين ، بفعل تسارع فتوحات تكنولوجيا الإتصال والمعلومات التي أعلنت شهادة وفاة " المنظومة الاشتراكية العالمية " التي جاءت ولادتها بعد قيام الثورة البلشفية في بدايات القرن العشرين ودخول القوات السوفييتية الى بعض دول اوروبا الشرقية لتشكل أول محاولة للإنشقاق عن واحدية وعالمية الحضارة المعاصرة بواسطة عملية قيصرية اريقت على أطرافها دماء غزيرة ، وأول تجربة تستخدم أدوات الأيديولوجيا لبناء "حضارة اشتراكية " مغايرة، بتقسم العالم على تربتها إلى عالمين وحضارتين وثقافتين معاصرتين " الاشتراكية والرأسمالية ".

لسوء حظ العالم العربي والإسلامي أنّه كان إما ملحقًا بأحد العالمين المفترضين، أو محايدًا بينهما، أو خاضعًا لتهويمات طوباوية (دينية أو قومية) تفترض إمكانية بناء عالم ثالث وحضارة ثالثة على أساس الهوية الدينية أو القومية !!

والأسوأ من ذلك أنّ العالم العربي شهدَ خلال العقدين الأخيرين فشل كافة مشاريع التغيير المفترضة التي بشرت بها وقادتها تيارات فكرية وطنية أو قومية أو إسلامية ، وقد تزامن دخول هذه المشاريع مأزق الركود والتراجع مع بدايات انتقال الحضارة المعاصرة من العالمية إلى العولمة ومن الحداثة إلى ما بعد الحداثة ومن النظام الدولي إلى النظام الكوني.

عندما انتقل العرب من القرن العشرين إلى القرن الحادي والعشرين كان نظامهم الإقليمي يشهد بدايات تحلله وتفككه على إثر غزو العراق للكويت، وانتشار القواعد العسكرية الأجنبية فوق الأراضي العربية.. وبعد دخول الألفية الثالثة الميلادية أصبح العالم العربي مكشوفًا بالكامل أمام تحديات العولمة وعالم ما بعد الحداثة.

في هذا السياق تضاءلت حوافز التفكير بالآليات والتصورات التي تساعد على تعويض العالم العربي ما خسره من فرصٍ تاريخية ضائعة خلال القرن العشرين المنصرم ، وتمكنه من تجاوز فجوة التخلف والركود والانقطاع الحضاري والعودة إلى ميدان إبداع الحضارة.. حيث أصبح العرب مثقلين بهموم إضافية ذات طابع مركزي ومحوري. فالإسلام الذي نشره العرب في مختلف بقاع العالم وصنعوا به حضارتهم ، يتعرض للتشويه والتشكيك بصورة مزدوجة، حيث يتم تقديمه من قبل الجماعات الإسلاموية المتطرفة على نحوٍ متشدد ومنغلق ودموي بخلاف تعاليمه السمحاء وقيمه الإنسانية ورصيده الحضاري المنفتح ، فيما تسعى القوى اليمينية والعنصرية في الغرب للتحريض ضد الإسلام والعرب والمسلمين على خلفية أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١م ، وغيرها من أعمال الإرهاب التي ترتكبها جماعات ضالة ومتعصبة تحت يافطة الجهاد الإسلامي!!

أما الإرهاب الذي ارتبط بهجمات ١١ سبتمبر على رموز السيادة الكونية والقوة الاقتصادية والجبروت العسكري في قلعة العولمة ومعقل ثورة تكنولوجيا الإتصال والمعلومات ، فقد تمكن من تحويل بدايات الألفية الثالثة الجديدة ، إلى ساحة مواجهة مفتوحة بين العولمة وما قبلها.. وتعميق الفجوة بين حضارة القرن الحادي والعشرين وبقايا حضارات القرون السابقة.. وتقويض الأنساق والتصورات الطوباوية والتهويمات الأيديولوجية (الدينية والقومية) الموروثة عن الحقب السابقة للألفية الثالثة الجديدة.

ومع بدء وإتساع المواجهة التي فجرتها أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١م ، وجد العالم العربي نفسه في قلب هذه المواجهة الساخنة ، خصوصاً وأنّ الذين تورطوا في تلك الاعتداءات المشينة تخطيطًا وتمويلاً وتنفيذًا، جاءو منه، وحملوا هويته وثقافته، وتظاهروا بتبني قضاياه!!

الفرص الضائعة

هكذا انقضت الأعوام المسة الماضية من القرن الحادي والعشرين والألفية الثالثة الميلادية.. وحين أطل علينا العام السادس قبل بضعة اسابيع ، وجد العرب أنفسهم في دوامة مستمرة من الخسائر الجديدة التي تضاف إلى خسائر سابقة تكبدوها حين أضاعوا فرصًا نهضوية تاريخية لا يمكن تعويضها!.

> يتوجب على العرب تأهيل أوضاعهم للإلتحاق بالعصر الجديد والاندماج في العالم الكوني .. ولا يمكن تحقيق ذلك من دون الديمقراطية وإصلاح أوضاع التعليم والثقافة والإعلام ، وتبرئة الإسلام من تهمة الإرهاب وتحريره من وصاية أشباه الإكليروس .

والحال أنّ العرب اليوم مطالبون باجتراح معارك دفاعية عن قضايا جديدة قديمة مثل : الحرية، السيادة، التنمية، النهضة، خصوصاً بعد أنْ أصبح العراق أرضاً محتلةً إلى جانب فلسطين وجزر الإمارات العربية .. الخ!.

في الوقت نفسه يتوجب على العرب تأهيل أوضاعهم للإلتحاق بالعصر الجديد والاندماج في العالم الكوني.. ولا يمكن تحقيق ذلك من دون الديمقراطية وإصلاح أوضاع التعليم والثقافة والإعلام ، وتبرئة الإسلام من تهمة الإرهاب وتحريره من وصاية أشباه الإكليروس، وما يترتب على ذلك من نقدٍ للتأويلات السلفية المتحجرة للدين ، وتقويض التوظيف السياسي للإسلام الذي أصبح اليوم اسلاما سياسياً تتصارع على تربته قوى الثروة والسلطة ، ويستخدمه السياسيون غطاء (شرعيا) للصراع على العروش ، وممارسة أساليب قذرة تبررها دهاليز ومواخيرالسياسة ولا تجيزها قيم الدين !!

لقد تأخر العالم العربي كثيراً في حسم هذه القضايا طوال القرن الماضي ، وعجز عن اكتشاف حقيقة الأوهام التي أصابته بالإخفاق في الإجابة على أسئلة النهضة ، بما في ذلك الفشل الذريع للمشاريع السياسية (القومية والدينية) التي وعدت الناس بالحرية والسيادة والاستقلال والتنمية والعدالة والنهضة في عصر متدفق بالحيوية والفعالية والإنجاز والتجاوز.. وبتأثير ذلك الإنسداد وصل العالم العربي إلى مأزقه الحالي، وهو بطبيعة الحال مأزق النخب السياسية والفكرية والدينية والحزبية والتقليدية القديمة التي لم تدرك حتى الآن أنّها أضحت جزءًا من إرث الماضي، وعقبة أمام الأندماج بالعصر والحضارة والحداثة.

> عندما انتقل العرب من القرن العشرين إلى القرن الحادي والعشرين كان نظامهم الإقليمي يشهد بدايات تحلله وتفككه على أثر غزو العراق للكويت، وانتشار القواعد العسكرية الأجنبية فوق الأراضي العربية.. وبعد دخول الألفية الثالثة الميلادية أصبح العالم العربي مكشوفًا بالكامل أمام تحديات العولمة وعالم ما بعد الحداثة.

لعلّ مأزق هذه النخب العربية القديمة يعود إلى إفراطها في التعاطي مع اليوتوبيا والميثولوجيا في آنٍ واحد على مستوى النسق الذهني للوعي والجهاز المفاهيمي للتفكير.. أماعلى صعيد الممارسة فقد كانت ولا زالت مخدرة بأوهام الأيديولوجيا القومية والاشتراكية والدينية، مع الأخذ بعين الاعتبار أنّ الأيديولوجيا تعد العدو الرئيسي للحقيقة والمعرفة.

وبعد انكشاف اليوتوبيا وإفلاس الأيديولوجيا أمام حقائق العصر، ظلّت هذه النخب أسيرة لأوهامها العارية وشعاراتها الشعبوية وخطابها الإنشائي .. والأخطر من كل ذلك لا زالت هذه النخب المتكلسة تصر على إغلاق الطريق أمام تقدم نخب صاعدة من الجيل الجديد، ومصادرة حقها في أن تأخذ فرصتها ودورها في التفكير والممارسة.

ما من شك في أنّ مأزق العالم العربي في نهاية القرن العشرين والألفية الثانية جاء محصلة لتراكم مريع من الإخفاقات والتراجعات التي تتالت منذ قرون طويلة ، تمتد إلى ظهور السلفية المتشددة التي مارست مختلف أشكال العداء للعقل ، وحاربت الفلسفة والعلوم الطبيعية والترجمة، وأضطهدت الفلاسفة وعلماء الكيمياء والفيزياء والطب والرياضيات والمنطق ، وأحرقت كتبهم الثمينة ، الأمر الذي مهد لتراجع مساهمة العرب والمسلمين في إنتاج العلوم والآداب والفلسفة والفنون، وغروب شمس الحضارة العربية والإسلامية.

وزاد من خطورة هذا المأزق أنّه تزامن مع انتقال الحضارة الحديثة في نهاية الألفية الثانية وبدايات الألفية الثالثة، من الحداثة إلى ما بعد الحداثة.. ومن العالمية إلى العولمة.

يقيناً أنّه لا توجد وصفة سحرية للخروج من هذا المأزق.. بيد أنّ الاستجابة لتحديات العولمة ممكنة في حال الاندماج بها واستيعاب قيمها ، وذلك من خلال تأسيس فكر سياسي وخطاب ثقافي جديد يتجاوزان أسئلة النهضة التي عجز الفكر العربي والإسلامي عن الإجابة عليها، منذ إنْ طرحها رواد فكر التنوير في القرن التاسع عشر تحت تأثير صدمة الحداثة الأولى مع الثورة الصناعية.. على أن يتم الانتقال بعد ذلك إلى صياغة أجوبة جديدة على أسئلة الزمن الجديد التي تطرحها الصدمة الثانية لما بعد الحداثة، تحت تأثير متغيرات عصر العولمة وثورة تكنولوجيا الاتصال والمعلومات!!

يبقى القول أنّ بلوغ أهداف كهذه غير ممكن من دون بلورة مشروع نهضوي للتغيير الشامل، عبر بوابة التجديد الديمقراطي للمجتمع العربي بأفق الحرية والحداثة، بما هما نقيضان موضوعيان لأي وصاية على الدين والعقل والهوية والثقافة والمعرفة، أو إدعاء باحتكار الحقيقة ، أو مصادرة لضرورة الحداثة واستبدالها بتحديث التخلف!!

عن صحيفة «٢٦ سبتمبر»

مبروك «مؤجلة» لحماس وأخواتها!

مشاري الذايدي *

يومان فقط يفصلان بين ذكرى اغتيال المهاتما غاندي، واليوم الذي تحدث فيه خالد مشعل، رئيس مكتب حماس السياسي، عن خطوات حركته الاصولية المقبلة، بعد أن حققت فوزها الكبير في الانتخابات التشريعية الفلسطينية.

يومان في تراتب حوليات شهر يناير، فيوم أمس ٣٠ يناير، يوافق ذكرى قتل داعية اللاعنف وقائد المقاومة الهندية الشاملة للاحتلال البريطاني. قتل غاندي عام ١٩٤٨، حينما اخترق شاب هندوسي متطرف الصفوف نحو »روح السلام« الذي كان يقبض يديه على صدره علامة التحية الودودة، تقدم ناتورام غودسي، الصحافي الهندوسي المتعصب، وأشهر مسدسه مطلقا ثلاث رصاصات قتلت العجوز، لحظتها تمتم غاندي: »هاي رام«، أي: يا رب. ثم رحل عن العالم.

هذا قبل أكثر من نصف قرن من الآن، وقبل ثلاثة ايام، ٢٨ يناير الحالي، أعلن خالد مشعل في مؤتمره الصحافي الذي عقده في دمشق، للتعليق على انتصار حركة حماس في الانتخابات الفلسطينية، مشيرا لسلاح حماس، أن حركته تسعى الى »حماية المقاومة التي صنعتنا وأعطتنا كل هذا المجد«.

وبرنامج المقاومة الذي يتحدث عنه مشعل هنا، يقع السلاح في القلب منه، كما قال لبرنامج »نقطة نظام« في تلفزيون العربية، شارحا موقع السلاح من منظومة المقاومة: »في عمقها«. ثم قال: »من يسوق الحديث عن الوسائل السلمية هذه، ثبت أن (وجهة نظره) غير مجدية«. (٢٠ مارس ٢٠٠٥).

في الهند، حصل تحرير، ورحل المستعمر، وقامت حياة سياسية ثرية في بلد عملاق في مساحته وسكانه وديناته ولغاته.. وفقره ايضا، بطريقة سلمية. حصل التحرير مع أن قائد المقاومة وضميرها، كان هو عراب فلسفة المقاومة السلمية أو »ساتياغراها« (ساتيا، أي: حقيقة، وأغراها، أي قبض). وهي فلسفة لا تعني العصيان المدني حصراً، بل سعي هادئ لا يقاوم إلى الحقيقة. ويوضح غاندي اللاعنف بأنه ليس عجزاً أو ضعفاً، ذلك لأن »الامتناع عن القصاص ليس عفواً، ما لم تكن القدرة على القصاص موجودة أصلاً«، وهو كذلك لا يعني الاستكانة للظلم عن خوف أو عن جبن، بل ذهب حتى الى تفضيل العنف على الجبن والخنوع قائلا: »إنني قد أخاطر باستعمال العنف ألف مرة ، بدلاً من خصاء عرق بشري بأكمله«. (بحث ديمتري افيربنوس، ك. غاندي).

ربما يبدو حديثنا هذا، وفي ظل ظروف الاحتلال الاسرائيلي الصعبة والظالمة التي يعيشها الفلسطينيون، ضربا من الاستهانة بآلام الناس، وعدم إحساس بمدى المعاناة اليومية، او أنه تهويم دخاني في حلقات متصوف شرقي موغل في ثقافة الهندوس، ذات النزوع العرفاني، ولكنها لن تجدي مع آلة القمع الصهيوني، كما أن الانجليز غير الاسرائيليين.. وبكلمة: فإن فلسفة غاندي ما »تنفعناش«.

ضع هذا الكلام كله في ظل هذا الصعود الكبير للايدلوجيات اليمينية في العالم كله، بحيث وكان العالم كله يسمع نداء موحدا يقول: »الى اليمين در!«.

خصوصا في عالمنا الاسلامي، الذي أخرج مهدي عاكف واخوانه المسلمين في مصر، والزهار وحماسييه في غزة والضفة، والحكيم والصدر وشيعتهم في العراق...

إذا راقبنا كل هذه التحولات الاصولية التي سيكون لها ما ورأءها، وسنلمس آثارها على بقية الحركات الأصولية في العالم الاسلامي، وقد بدأ غيثها بتصريح عزام الهنيدي، رئيس كتلة الاخوان المسلمين البرلمانية في الاردن، بأنهم جاهزون للحكم الآن (الحياة/ ٣٠ يناير الحالي). فالحديث عن غاندي و »ساتياغراها« يصلح في جلسة سمر على ضوء القمر، فهي لغة هامسة لا تنفع لتضجيج اللحظة!

لكن، وبصرف النظر عن قناعتي الشخصية بهذه الفلسفة، أو ايماني بها، فهذا بحث آخر، فإن برامج الحركات الاصولية المسلحة، سواء المحدود منها بقطر مثل حماس وحزب الله، أو المنتشر في الارض كلها مثل القاعدة، قائمة، مرحليا، على المواجهة والمنازلة العسكرية، وكل ما سوى ذلك فليس الا من باب »التخديم« على الهدف الجوهري، وهو إنجاح برنامج الحركة او الجماعة، الذي يصبح فيه التخلص من العدو الشاخص أمام بندقية الحركة، هو الهدف الحاضر والنشط، باختصار: هدف المرحلة.

ففي حالة حماس، الهدف هو الاحتلال الاسرائيلي، وكذلك الشأن مع حزب الله ، الهدف هو تحرير جنوب لبنان من اسرائيل (الآن بقيت مزارع شبعا، ولا ندري بعدها ما الذي سيبقى؟)، واما في نموذج القاعدة، فالهدف هو العالم كله تقريبا، وعلى رأسه امريكا والدول الحليفة لها.

هذا هو الهدف العسكري المرحلي، وهو لا يكشف عن »الهدف الصلب« لجماعات الاسلام السياسي، وهو ما يسمى باستئناف الحياة الاسلامية على النقيض من الجاهلية الحالية! فحماس مثلا تريد، بعد طرد الاحتلال، وربما بموازاة هذا، إقامة دولة اسلامية في فلسطين، باتجاه إقامة الخلافة الكبرى.

لكن ماذا لو أن حماس وصلت الى غايتها في تحرير الارض، ولن نسأل مشعل، كما سأله صائب عريقات: أي أرض؟ أرض ٦٧، او كل الارض من البحر للنهر؟. فهل سينتهي مشروع حماس العسكري عند حدود استرداد الارض الواقعة ضمن حدود ٦٧، ام ان ذلك لا يعني سوى محطة على الطريق، وصولا الى إلقاء اليهود في البحر؟. نحن هنا نتحدث بمقاييس الممكن واللاممكن، وأيضا بمعايير الانساني واللاانساني.

حسنا ولنفترض ان حماس جندت كل طاقات الفلسطينيين، ومن معهم، وحالفتها ايران ايضا، (مشعل قال في ١٦ ديسمبر الماضي اثناء زيارة طهران: »اذا ما شنت إسرائيل هجوما على ايران فسوف نصعد ونوسع نحن ساحة المعركة«.) فماذا سيعقب ذلك، مثلا، فيما يخص نموذج الحياة الاجتماعية »الصالحة«، وفق مقاييس حماس داخل فلسطين؟!

أنصار المعسكر الاصولي، او المعسكر العدائي للغرب، يفركون ايديهم شماتة، ولسان حالهم يقول: »هاه! ألستم من انصار الديموقراطية، ارضوا بها اذن«، كما كان يقولها مشعل في مؤتمره الصحافي في دمشق، وهو يبتسم نصف ابتسامة.

في تقديري، لو كنت في مكانهم لسخرت مثلهم، فهذا هو الموضع المثالي للسخرية من دعاة الديموقراطية.

لكن الحق، أن المشكلة أعقد من مشكلة تصويت او عدم تصويت، او وجود صناديق اقتراع او لا. المشكلة هي إزالة الظروف المعيقة لوجود قدرة حقيقية على النقد والتفكير والتنشئة الفكرية الصحيحة، وهذه شروط سابقة على وجود الديموقراطية، فالليبرالية اولا، الديموقراطية ثانيا، كما يقول فريد زكريا، وليس ذلك بمعنى إلغاء الالوان الفكرية الاخرى، ومن يستطيع ذلك اصلا ؟! بل بمعنى ايجاد ضمانات دستورية، والاهم تكوين تربية فكرية، تقر بأساسات الممارسة السياسية التداولية وانتقال السلطة، أساسات مثل: نسبية الحقيقة، وحق التعبير عن الرأي، وحق البحث... الخ.

يبدو حديثنا هذا نوعا من الحكي عن المستقبل، او احتجاجا مبطنا على أن الديموقراطية لم تأت بمن نشتهي، بل جاءت بمن سيزيد الانكماش الحضاري للمسلمين والعرب.

ربما يكون الامر كذلك، ولكنه حديث يعبر بشكل حقيقي عن اقتناع كاتب هذه السطور، وهو ان كثيرا من إصلاحيي العرب المعاصرين يتلهون بالحديث عن الديموقراطية، ولكنهم لا يعلمون: على أي ارض يتحركون؟! ثم تجدهم يصرخون او يذهلون حينما يصل امثال مهدي عاكف او الزهار للحكم عن طريق صندوق الاقتراع؟!

البعض سيرى ان هذه المقاربة السلبية للممارسة الديموقراطية، تعني ديمومة الانظمة العربية التي بلي كثير منها، وتفسخ كثير من رموزها بالفساد، وجثم جلادوها على صدور الناس بحجة منع وصول الاصوليين، محبي الحروب والاستشهاد والانتحار، وكارهي النساء... والحق ان الامر ليس كذلك، بل ان هذه المقاربة هي تقريع لهذه الانظمة والنخب العربية »شبه العلمانية«، التي ركبت على موجة الحداثة من دون استبطان حقيقي لها، واكتفت من الحداثة بقشورها، وصحرت الحياة الفكرية، وبعضها سعى الى عسكرتها... هو تقريع بذات الدرجة من الرثاء لحالة الارتداد الى المكونات الاولية للمجتمعات العربية المتمثل بالجماعات المتطرفة... والتطرف درجات!

في الاخير، لن أقول الآن مبروك لحماس او للاخوان في مصر، لأنني لست سعيدا بوصولهم. ومع الاحترام لأشخاصهم، فلست بحاجة لتزوير مشاعري، ولكني أحاول رؤية نصف الكوب المليء، وهو ان حداثة إسلامية حقيقية، ونابعة من أحشاء المجتمع ربما تكون منوطة ومشروطة بحكم الاحزاب الاصولية ووصولها للسلطة بشكل مباشر، حتى تكتشف هي، وبفعل تفاعلات الحياة، الفرق بين جنة الشعار ونار الواقع... حينها ربما نتذكر قول أبي تمام:

بصرت بالراحة الكبرى فلم أرها
تُنال الا على جسر من التعب!
من يدري؟!

وأشك أن ولادة طفل النور البهي من رحم الاصولية، ستتم في حياتنا القريبة. ولكن هذا هو قدرنا، ولو بعد حين، حينها ربما يفرح الفرحون بفوز حماس وامثالها، ولحظتها يصبح من الملائم أن نقول: مبروك..

* كاتب سعودي

أعداء الإسلام هم سفهاء الإسلام

د. حصة الرفاعي *

ان وقاحة الصحيفة الدانمركية المدعوة جيلاندز بوستن، وتطاولها السافر على رسول الله، نبينا الكريم محمد صلى الله عليه وسلم، لا يمكن ان يصدرا إلا عن مشاعر بغضاء كامنة في نفوس اعداء الإسلام، وقد وجدت تلك المشاعر الدفينة المناخ الملائم لتهب من سباتها وتحرك اصابعها الشائهة وتطلق سمومها العفنة مجترئة على خاتم الرسل وسيد الخلق أجمعين.

ولا يخفى على احد ان الاسلام منذ بداية ظهوره دين مستهدف من قبل أعداء الله. وان حامل رسالته الشريفة وصحبه عانوا كثيراً في سبيل نشر دعوة الخالق جل وعلا حتى عم الدين الجديد بقيمه ونهجه السامي اصقاع الارض. ولكن مع ذلك بقي من يناوئه ويحاربه بضراوة.

وربما يعرف البعض قصة الرؤيا التي شاهدها احد السلاطين حين جاءه رسول الله في المنام مستنجداً فهرع السلطان الى مقام سيدنا محمد ليكتشف ان رجلين يهوديين قاما بحفر خندق يؤدي الى ضريح النبي بقصد سرقة رفاته الطاهر. فقام ذلك الحاكم بقتل الرجلين واحباط مؤامرتهما الدنيئة.

ومن منا لا يتذكر قصة الشاة المسمومة التي اهدتها احدى نساء يهود خيبر الى الرسول صلوات الله عليه واصحابه، فلما تبين له ذلك أمرهم برفع ايديهم عنها؟ وغير ذلك كثير مما يكشف لنا عن عمق العداء الذي يعتمل في نفوس اهل الضلال، ويحرك نوازعهم البغيضة تجاه الاسلام والمسلمين، على الرغم من ان الاسلام يأمرنا باحترام الديانات الاخرى وتقديس حملة رسالتها السماوية بل ان احترام المسلم لانبياء الله يفوق تقدير اتباعهم لهم، انطلاقاً من ايمانه بان كل الاديان تدعو الى عبادة الواحد الاحد وان اختلف المنهج وتنوعت الرؤيا، ولم يلحق بتلك الملة التحريف والتشويه.

ان الافتراء على رسولنا الكريم والذي اثار سخط المسلمين في كل مكان يستحق اتخاذ كل الوسائل الكفيلة بمنع مثل هذا التعدي السافر على ديننا سواء على المستوى الدبلوماسي او الاقتصادي او الاعلامي او القضائي. وهذا اقل ما نفعله لنصون عقيدتنا ونحمي كرامة نبينا من دنس الآثمين.

ولكن لنتوقف قليلاً ونسأل انفسنا: لماذا تكالبت علينا الالسن والاقلام المسعورة في الآونة الاخيرة؟ ومن هو المتسبب في هذه الهجمات الضارية على الاسلام ورموزه؟ أوليس نحن او بالاحرى سفهاؤنا من اطلق عقال الضغينة ضد الاسلام بما ارتكبوا ويرتكبون من جرائم سافرة بحقه؟ أوليس هم اولئك السفهاء الذين حرفوا المعاني السامية لهذا الدين العظيم وتعاليمه السمحة التي كفلت له الانتشار الساحق بين الأمم؟ أوليس هم من زعزع قيمه التي تأسست على ثوابت راسخة من الدعوة الحسنة والتسامح واحترام عقائد الاخرين والتعايش معهم بسلام؟

وهذا، لو يفقهون، هو سر عظمة الدين الاسلامي وحكمة رسوله الاكرم.

أوليس هي تلك الفئة التي طغى لديها دوي المتفجرات وازيز طائرات الموت وجز رقاب خلق الله على صوت العقل والمنطق والدعاء على اتباع الأديان السماوية في المساجد؟!!

نعم .. إنها تلك الفئة التي تعدت جرائمها بلاد الغرب الى البلد الذي احتضن الحرمين الشريفين وكعبة المسلمين؟ وهل استطاع هؤلاء ان يصلوا الى غايتهم المنشودة بحد السيف ام انهم اسهموا بشكل كبير في شحن القلوب بالنفور من الاسلام وتعريضهم للذل والامتهان في حلهم وارتحالهم؟

* عن صحيفة / "القبس" الكويتية

الملوخية: طريقنا إلى الجنة..!؟

جهاد نصر *

بعيداً عن المهرجانات الحامية.. والهتافات الصاخبة.. وغير ذلك من منغّصات أيامنا الكالحة..!؟ سهرنا بعض ليلنا مع الفنانة المصرية التائبة (منى عبد الغني) حيث كانت تحكي في برنامج: خليك في البيت سيرة حياتها بخشوع لم نعتده عند رجال السياسة في هذا الزمان.! لقد أكدت فنانتنا القديرة أنها لم تضمن التنعم في جنان الخلد بالرغم من توبتها، و تحجبها، إلا بعد تناولها الملوخية في دار الشيخ شعراوي.! وهي لم تتردد ولو للحظة في القول: لقد شعرت بنفحة الشيخ الجليل حين أكلت الملوخية في دارته.. لقد شممت فيها روائح أزاهير الجنة فدخلت عليه بعدها وأنا كلي إيمان وثقة بما وعدنا به الرسول الكريم وأصحابه العشرة الموعودين

وهكذا، وبفعل إيماني مباغت، خسرنا صوتاً جميلاً وممثلة متميزة فيما ربح الشيخ شعراوي تلميذة جديدة في مدرسته، أما أن الفنانة الجميلة ـــ منى – قد ربحت الجنة فهذا ما لا نستطيع تأكيده بل على العكس من ذلك فقد نتجاسر ونؤكد أنها خسرت الجنة الوحيدة التي كان بإمكانها العيش بها.

نحن نحترم من دون أدنى شك كل ما يتعلق بحرية الاعتقاد للكائن البشري وبغض النظر عن هوية معتقده، فالفعل الإيماني مسألة روحية ذاتية خاصة لكن في الوقت نفسه نحزن أشد الحزن حين نخسر موهبة فنية بسبب هذا المعتقد، فنحن نرى أنه من غير المعقول أن تتسبب المعتقدات في خسائر طاقات بشرية من أي نوع كانت.! لذلك، كنا ولا نزال نعتقد أن الأديان كافة لا تنحوا هذا المنحى إنما تفاسير المتخلفين من البشر الذين يحترفون مهنة التفقيه هي التي تضفي على الأديان ما ليس فيها. والأكثر حزناً لنا أن تتحول فنانة مثقفة موسيقيا إلى داعية هدفها تعليم النساء كيف يغتسلن بالماء والصابون.. وكيف يتطهرن من رجسهن.! فيحسب قولها لا تزال المرأة العربية جاهلة فهي تتزوج من غير أن تعرف آليات الاغتسال والطهارة من الحيض، وهذه الحال بنظرها معضلة نسائية عويصة وستواجه مثل هذه المرأة الجاهلة مصيراً بائساً إذا استمرت في دنسها .! أما عن حالة المرأة طيلة الحياة الدنيا فهذا ليس مهماً كما بدا من حديثها لذلك لا يجدر بفنانتنا العزيزة الانشغال في سفاسف الأمور مثل التحدث عن الأسباب التي تجعل منها كائناً ملحقاً لأن الأكثر أهمية هو تأمين وضمان الوضع في الدنيا الآخرة ولم لا وهو وضعٌ دائم وبلا نهاية في حين أن الحياة على الأرض عابرة ولأنها عابرة فقد اختارت الفنانة التائبة دمار أسرتها الصغيرة، وانفلاش حياة أطفالها، والتمسك بحجابها وكل ذلك بالطبع بعد أن تعلمت فن الوضوء الذي يخلصها من الدنس..! والمهم في الأمر كله هو ضمان الحياة الدائمة في الجنة الخالدة.!

كل ما قالته الداعية الجديدة معتاد وليس فيه جديد اللهم سوى حكاية الملوخية التي أكلت منها في مضافة الشيخ شعراوي.. صحيح أن لذة الطبخ تعود لمهارة الطباخ لكن تصبح الحكاية مبتذلة إذا وصل الأمر إلى استنشاق روائح الجنة في البخار المتصاعد من ملوخية الطاهي حتى ولو كان شيخاً قديراً و شهيراً كالشعراوي رحمه الله في فسيح جنانه.! ونحن نجزم أن أسعار الملوخية ستبقى على حالها.

* كاتب سوري